كتاب الصيام

تقلُّب الأيام والليالي من أعظم العبر ومن أروع مظاهر الحكمة ودلائل القدرة، يقول ربنا ﷻ: ﴿**يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ**﴾ [النور: ٤٤]، وكما فضَّل الله بعض الناس على بعض، فقد فضَّل بعض الليالي وبعض الأيام على بعض، وإنما جاء ذلك التفضيل؛ لأن تلك الأيام الفاضلة والليالي المباركة شهدت أحداثًا جليلة جاء فيها الحق بنوره وزهق فيها الباطل بشروره، وربما كان فضلها بسبب ما ينزل فيها ربنا من الآيات، ويسوق فيها من الرحمات، وقد كان رسول الله ﷺ يقابل تلك الأوقات بحفاوة بالغة، فيصوم ويكثر في بعضها من الذكر والخشوع وصلة الرحم والعمل الصالح.

إنَّ الأيام والليالي كلها آيات قدرة ومظاهر حكمة ذكرها ربنا ﷻ في الآية المباركة: ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً**﴾ [الإسراء: ١٢]، وقد ذكر الله بعد هذه الآية الكريمة كتاب الأعمال فقال: ﴿**وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ۞ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا**﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤]، وذلك لأن الأيام والليالي فرص الأعمال، والناس في هذا بين منتهز لتلك الفرص والمواسم وبين مفرط فيها، ومن ثَمَّ؛ فالأيام والليالي لها حصيلة لخصَّها الحقُّ ﷻ في قوله في نفس السياق: ﴿**مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾ [الإسراء: ١٥].

وإذن فالأيام والليالي كلها آيات قدرة ومظاهر عظمة وفرص عمل، فحين سمَّى ربنا ﷻ يوم السابع عشر من رمضان (يوم الفرقان) وفضله، فإنما كان ذلك لأنه يوم التقى الجمعان يوم التقى الحق والباطل في أول مواجهة، فخر الباطل صريحًا تحت سنابك خيل الجمع المؤمن، وبهذا الحدث العظيم استحق يوم بدر أن يشاد به في محكم الآيات.

وهذه بعض الأحاديث الكريمة التي ذكر فيها بعض الليالي الجليلة والأيام المباركة نذكرها، ثم نتبعها إن شاء الله بما يستقبلها المؤمنون به من الآداب:

- جاء في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**من صام رمضان وأتبعه ستًا من شوال كان كصيام الدهر**».

- وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامِ الْعَشْرِ** (يعني: العشر الأوائل من ذي الحجة) **أَفْضَلَ مِنَ الْعَمَلِ فِي هَذِهِ**». قَالُوا: وَلاَ الْجِهَادُ، قَالَ: «**وَلاَ الْجِهَادُ، إِلاَّ رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ**».

- وروى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «**صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ إِنِّي أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ**».

- وفي صحيح مسلم والسُّنن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ يَرْفَعُهُ، قَالَ: سُئِلَ أَيُّ الصَّلاَةِ أَفْضَلُ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ، وَأَيُّ الصِّيَامِ أَفْضَلُ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ؟ فَقَالَ: «**أَفْضَلُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ الْمَكْتُوبَةِ الصَّلاَةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَأَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ صِيَامُ شَهْرِ اللهِ الْمُحَرَّمِ**».

- وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ كَانَ أَمَرَ بِصِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانُ كَانَ مَنْ شَاءَ صَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ، وكان يومًا تستر فيه الكعبة.

- وفي صحيح مسلم أنه حين صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه، قالوا: يا رسول الله، هذا يوم تعظمه اليهود والنصارى، فقال: «**فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ -إِنْ شَاءَ اللهُ- صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ**». فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ.

- وروى الجماعة من حديث عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: «مَا رَأَيْتُهُ (تعني: النبي ﷺ) فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ».

- وفي سنن النسائي أن أسامة ﷺ سأل رسول الله ﷺ: لَمْ أَرَكَ تَصُومُ مِنْ شَهْرٍ مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ؟ قَالَ: «**ذَاكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ يُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ**».

هذا، وقد أمر رسول الله ﷺ بتحري ليلة القدر؛ حيث نزل القرآن الكريم في الليالي الوتر من العشر الأواخر من رمضان.

- وفي سنن الترمذي والنسائي أن رسول الله ﷺ كان يتحرى صيام يوم الإثنين والخميس.

- وفي سنن أبي داود والنسائي أن رسول الله ﷺ كان يأمر بصوم البيض (من كل شهر):

ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة، وقال: «**هو كهيئة الدهر**».

– وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ سأل عن صوم الإثنين فقال: «**ذلك يوم ولدت فيه، ويوم بعثت أو أنزل عليَّ فيه**».

– ووردت الأحاديث الكريمة بأن رسول الله ﷺ نهى عن صوم العيدين وأيام التشريق ويوم الشك ويوم عرفة للحاج، وأن يختص يوم الجمعة بصوم.

أولاً: ذكر رسول الله ﷺ مزيدًا من الفضل بست عشرة ليلة وتسعة عشر يومًا تشجيعًا لأمته أن يتخذوا منها مواسم عبادة؛ لأن الربح أكثر ما يكون في الموسم، فمن هذه الليالي الوتر في العشر الأواخر من رمضان، وليلة بدر، وأول ليلة من المحرم، وليلة عاشوراء، وليلة النصف من شعبان، وليلة عرفة، وليلتا العيد.

ومن الأيام يوم عرفة، ويوم عاشوراء، ويوم الجمعة، ويوما العيدين، وعشر ذي الحجة، وأيام التشريق، وذكر يوم الإثنين، ويوم الخميس، وأيام البيض من كل شهر.

ثانيًا: إنَّ أعظم احتفاء بهذه الليالي والأيام والمباركات هو أن يستكثر فيها العبد المؤمن من الأعمال الصالحة والحسنات، وبخاصة الصوم (ماعدا العيدين وأيام التشريق)، وإطعام الطعام، وتفقد الموتى بالإحسان، وصلة الرحم.

ثالثًا: ومن الاحتفاء بهذه الأوقات المباركة أن نتذكر فيها ما وقع من أحداث، فنتذكر في ليلة القدر نزول القرآن، وفي يوم عرفة منظر الحجيج، وفي صبيحة بدر يوم الفرقان، وفي الإثنين والخميس رفع أعمال العباد إلى الله، وفي السابع والعشرين من رجب ليلة الإسراء، وفي يوم عاشوراء احترام دين الإسلام لكلِّ الأنبياء.

رابعًا: تجديد الإيمان ومضاعفة النوافل والدعاء والإقبال على الله في هذه الأيام والليالي، كلُّ ذلك من أعظم مقاصد الإسلام؛ لأن غفلات قد تطرأ على المسلم، فيكون له من هذه الأيام والليالي يقظات وتذكار وصقال لران القلب؛ لأن الإيمان عند أهل السُّنة يزيد وينقص.

وما أجمل أن يتخذ المؤمن هذه المواسم المباركة فرصًا لتجديد الإيمان والتعرض لنفحات ربنا الكريم الوهاب.

فضل الصوم ومنزلة رمضان

يقبل علينا شهر الصيام المبارك مرة كل عام ونحن أحوج ما نكون إليه وأفقر ما نكون إلى دروسه وآدابه، يظلنا الصوم بدروس الصبر ونحن أحوج ما نكون إلى المصابرة في معركة الحياة والموت، ويهل علينا بدروس المحبة والوحدة، ونحن نعاني من الشمل الشتيت والجهد الممزقة والانقسام البغيض، ويطلع الصوم علينا بدروس الجهاد، وقد أطاح العدو بألوية ودنس المقدسات وطمس القلوب بالوهن ويشرفنا شهر الصوم بالقرآن وهو شرف أمتنا وموقظ غفلتنا وباعث عزائمنا وفهمنا وقوتنا.

فيا مرحبًا برمضان حبيب الصالحين، وروح المتقين، وهداية الحائرين، وذكرى منازل الوحي الأمين، ففي مثل هذه الليالي المباركة والمناسبة القدسية بات الناس يغطون في ظلمات الجهالة ونعرات الجاهلية وسواد الثارات، باتوا على شفا حفرة من نار جهنم تدفعهم إليها الأصنام، باتوا على أحلام الغارة الظالمة والغزو الحرام والسلب والنهب والسبي، ثم صحوا في إحدى ليالي رمضان في ليلة مباركة ميمونة السحر وضيئة النجوم، وإذا نبي كريم وقرآن عظيم ونور يملأ القلوب والربوع وصفحة هي أمجد صفحات تاريخنا خط فيها قضاء الله الحكيم أنبل مجد يزينه التوحيد وأسمى شرف يشرفه العدل وأبهى كتاب يعلم الرحمة والمحبة والإحسان ويدعو بهديه إلى دار السلام.

ألا ما أجمل شهر الصوم عيدًا يوقظنا على أنوار كتابنا وعلى سنة نبينا وعلى تاريخ سلفنا الصالحين على أيامهم أحلى التحيات وأزكى السلام.

ما أجدر المسلمين في أيامنا هذه أيام أن يستقبلوا شهر رمضان وأن يحتفوا بأيامه ولياليه ويحتفلوا بغدواته وأماسيه ويستقبلوه بيقظة أوابة وقلوب توابة لعل الله -تعالى- يمحو بصحوة الضمائر غفلات أحد عشر شهرًا ويستجيب بإخلاص القلوب دعاء المؤمنين.

نحن في هذه الأيام أحوج ما نكون إلى نفحة من الله يستجيب بها دعاءنا ويكشف بها غمتنا ويفرج بها كربتنا؛ لأن القتل مستحر في أهلنا، ولأن العدو يعبث في مقدساتنا وزروعنا وثمارنا، ولأن الشيطان جاس خلال أمتنا فزرع فيها الشقاق وصرفها عن طموحات المتقين

إلى شهوات الغافلين، ورمضان موسم القبول والصائم لا ترد دعوته، فعسى أن يكتب ربنا لأمة محمد في هذا الشهر القرآني المبارك نصرًا مؤزرًا تقربه أعين المؤمنين، وتسخن به عيون الكافرين والمنافقين واليهود والصليبيين والشيوعيين.

لقد لاحظ أشياخنا المفسرون أن آيات الصوم في سورة البقرة أربع آيات كريمات لكنهم لاحظوا أن بين الآية الثالثة والرابعة آية تبدو وكأنها غريبة عن موضوع الصوم وهي قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٦].

والحقُّ أن لهذه الآية الكريمة علاقة حميمة بالصوم؛ إذ فيها إشارة حكيمة إلى أن الصوم الخالص المحتسب يكون مقرونًا بإجابة الدعاء إنْ شاء الله، وفي هذا يقول رسول الله ﷺ فيما رواه مسلم: «**ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ** (أي: الملك الصالح الذي ينشر العدل في رعيته)، **وَالصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا فَوْقَ الْغَمَامِ، وَتُفَتَّحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ** ﷻ: **وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ**».

هذا؛ وإني شارح للقارئ الكريم -إن شاء الله- معنى قوله ﷺ فيما يروي عن ربه في الحديث الشريف الذي رواه الشيخان وسائر الجماعة: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ** ﷻ: **إِلَّا الصَّوْمَ؛ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ، وَلَخُلُوفُ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ**». وهذا الحديث المبارك الكريم من أصح ما روي عن رسول الله ﷺ، وفيه خمس إشارات كريمات جديرة أن يقف عندها ويتدبرها الصائم.

أولاً: من الحسنات ما يكتب ثوابه الملك الموكل بالحسنات، فكتب الحسنة بعشر أمثالها إلى عشرين وثلاثين حتى إذا وصل الجزاء إلى سبعمائة ضعف انتهت صلاحية الملك وسلطته ووكل الأمر بعدئذ إلى الله ﷻ، وإذ ذاك يرزق صاحبها ويثيبه بغير حساب، ولاغرو فالله ﷻ لا يتعاظم جوده شيء، قال الله تعالى في عُمَّار المساجد وفيمن لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يومًا تتقلب فيه القلوب والأبصار: ﴿**لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [النور: ٣٨].

والصائم هو من هؤلاء الذين يرزقهم الله بغير حساب، والسبب في هذا أن الصائم يترك طعامه وشرابه من أجل الله، وإلا فما الذي يمنعه إذا غلق على نفسه الأبواب أن يأكل ويشرب ثم يقول: إنه صائم.

الصوم بين العبد وربه، ولهذا فالجزاء والثواب بين العبد وربه لا يكتبها الملك وإنما يقدرها الله، وحسبك بعطاء الواهب الرزاق الكريم المتعال، ولنضرب لهذا الأمر مثالاً أن أحد الملوك العادلين مرَّ على جنود يحرسون ثغرات مقابل العدو، فوجدهم نائمين ومرَّ بعدئذٍ على جندي يقظ وقد أرسل عبر الخط نظرة كنظرة الصقر، وكان الملك متنكرًا فسأله: لماذا لم تسترح في البرد والرياح وتجلس إلى موقدك وتنم قليلاً، فقال في غير تكلف: كيف أخون الأمانة وقد ائتمني مليكي على أمن البلاد، فأمر الملك له بجائزة على إخلاصه بظهر الغيب، فلما ذهب ليتسلمها من وزارة المالية قيل له: إن جائزتك من الملك نفسه، وقد أمر أن يترك له تقديرها.

لا شكَّ أن الجائزة حين يقدرها الملك نفسه تفوق جائزة روتينية يقدرها الوزير، فما بالك بجائزة يقدرها ملك الملوك الذي لا تساوي عنده الدنيا وما فيها جناح بعوضة؟!

ثانيًا: إن العمل حين يكون مخلصًا لوجه الرب الكريم يكون جزاؤه من يد الله الكريم، وهذا سر تفاوت الحسنات وثوابها؛ إذ يمتد ثوابها من عشرة أمثال إلى سبعمائة ضعف إلى عطاء بغير حساب.. إن الجزاء يتناسب مع الإخلاص.

ثالثًا: إذا تغيرت رائحة فم الصائم بسبب فراغ المعدة، فليعلم أن هذا التغير ليس عيبًا وإنما هو عند الله شرف وعلو منزلة.. إن الرائحة المتغيرة في فم الصائم أكرم عند الله من فم مضمخ بالمسك إذا كان ذلك الفم المضمخ مشغولاً بالغيبة والفساد واللغو، لكن الحديث لا يعني أن تهمل نظافة فمك طول النهار، فقد أجاز بعض الأشياخ للصائم السواك طول النهار؛ لأن فم الصائم حبيب إلى الله بما يعمره من القرآن والذكر حتى ولو لم يكن له خلوف.

رابعًا: ورمضان قبل إذ وبعد شهر جهاد وانتصارات كان قادة الإسلام -رحمهم الله- يتعمدون خوض المعارك الحاسمة فيه.

خامسًا: ورمضان شهر إخلاص في العمل وتفانٍ في أدائه، وليس شهر نوم وتكاسل وتأخر عن الدوام كما يفعل بعض الموظفين، يعطل مصالح الناس متحججًا بالصيام.

موسم القبول

ليس الصوم مجرد انقطاع عن الطعام الشراب والشهوة لكن الصوم آداب وأخلاق وفضائل، وهذه بعض الأحاديث الكريمة في آداب الصوم نوردها ثم نوضح ما اشتملت عليه من الآداب.

- جاء في الصحيحين والسنن أن رسول الله ﷺ قال: «**تسحروا فإن في السحور بركة**».

- وفي صحيح مسلم وأصحاب السنن أن رسول الله ﷺ قال: «**فضل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر**».

- وفي سنن أبي داود والنسائي عن العرباض بن سارية ؓ أنه قال: دعاني رسول الله ﷺ إلى السحور في رمضان فقال:«**هلم إلى الغداء المبارك**».

- وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر**».

- وفي مسند أحمد: «**إن أحب عبادي إليَّ أعجلهم فطرًا**».

- وروى أصحاب السنن أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر؛ فإنه بركة، فإن لم يجد تمرًا فالماء؛ فإنه طهور**».

- وكان رسول الله ﷺ يفطر قبل أن يصلي على رطبات، فإن لم تكن رطبات فتمرات، فإن لم يكن تمرات حسا حسوات من ماء.

- وروى أصحاب السُّنن -رحمهم الله: «**مَن فطر صائمًا، فله مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء**».

- وفي سنن الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «**الصائم إذا أكل عنده المفاطير صلت عليه الملائكة**».

- وروى البخاري وأصحاب السنن -رحمهم الله- أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**».

- وفي سنن ابن ماجه والترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «**رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر**».

- وفي صحيح البخاري: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة.

- وفي سنن أبي داود وابن ماجه أن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طُهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة (أي: صلاة العيد) فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات.

- وفي الصحيحين: كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر.

أولاً: للصيام آداب يهدي الله إليها أحباءه ليزكوا بها عملهم، ويكمل بها صومهم، وليتقبل بتقواهم وعبادتهم ولا غرو فهو القائل سبحانه في محكم كتابه: ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ [المائدة: ٢٧].

وهذه بعض آداب يلتزم بها الصائم الموفق وأول هذه الآداب مكارم الأخلاق، فالصائم يمشي في الناس كأنه الملاك كل ما لديه الكَلِم الطيب والعمل الصالح، لا سلطان للشيطان عليه؛ لأن الشيطان إنما ينفذ إلى القلوب من دروب الشهوات، والصائم قد سدَّ على الشيطان دروبه، وقطع عليه وسائله وأسبابه، والتخلي عن شهوات النفس يحول الإنسان روحانيًّا ملائكيًّا ربانيًّا، ومن هذا المنطلق يباهي ربنا ﷻ ملائكته بعبده الصائم.

ثانيًا: الجود والكرم وصنائع المعروف في رمضان وخصوصًا إطعام الطعام للصائمين والمحتاجين تشبهًا برسول الله ﷺ الذي كان يتخذ من رمضان موسمًا للعطاء ويقول: «**من فطر صائمًا فله مثل أجره**».

ثالثًا: ترك الرفث واللغو والجدل والمهاترة؛ لأن اللسان يكب الناس على مناخرهم في جهنم، وحتى حين يبتلي الصائم بسفيه يسابه ويشاتمه، فإنه يلتزم كلمة التقوى؛ لأنه أحق بها، ولأنه بصيامه أصبح أهلاً لها.

رابعًا: قراءة القرآن؛ لأن رمضان هو شهر القرآن، وقد كان بعض السلف لا يفارق القرآن شفاههم في رمضان إلا عند الطعام أو قضاء الحاجة، وروي عن الشافعي -رحمه الله- أنه قرأ القرآن في أحد الرمضانات ستين مرة؛ إذ كان يقرأه مرة بالليل ومرة بالنهار، ولا غرو فالقرآن شافع لأهله يوم القيامة، وهو ربيع قلوب المؤمنين، ومؤنس وحشتهم في الدنيا وفي القبر وعلى الصراط وإلى الجنة.

خامسًا: ومن آداب الصيام تعجيل الفطر؛ لأن في ذلك احترامًا للصوم وجلوسًا عند المائدة لفترة قصيرة يستغفر فيها العبد، ويذكر نعمة ربه ويشكرها حتى إذا غابت الشمس أقبل يأكل أو يشرب وهو يذكر الله ويشكر آلاءه، ويقول: «**ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إنْ شاء الله**».

إنَّ الذين لا يعبئون بالفطر ويؤخرونه وهم غافلون في خارج بيوتهم مع اللاهين هؤلاء لم يحترموا الصوم ولا قدروه حق قدره.

سادسًا: ومن آداب الصيام تأخير السحور، وهذا عكس ما يفعله بعض الغافلين في أيامنا هذه؛ إذ تجد الكثيرين من الصائمين يقضون الليل في اللهو واللعب، حتى إذا كان بعد منتصف الليل أكلوا وناموا عن صلاة الفجر، أما من يقلل من السهر ويؤجل السحور إلى ساعة قبل الفجر؛ فهذا هو الذي أثنى عليه رسول الله ﷺ؛ لأنه يغنم في كل ليلة غنمًا عظيمًا ألا وهو صلاة الفجر.

سابعًا: الإكثار من الدعاء عند إفطاره؛ لأن الصائم مستجاب الدعوة بإذن الله، ومن ثم فالصائم ينتهز الفرصة ليملأ حياته بالذكر والدعاء متطلعًا أن يستجيب الله له رغائب الدارين.

ثامنًا: إحياء ليلة القدر المباركة التي شرفت بإنزال القرآن فيها، والتي فيها تتنزل

الملائكة احتفاءً بمناسبة نزول القرآن، ويكون على رأس الملائكة جبريل عليه السلام روح الله وأمين السماء.

تاسعًا: هذا ومن أهم آداب الصوم على المستوى الاجتماعي أن يتحاب المسلمون ويتآلفوا ويستشعروا الوحدة المباركة تحت لواء الإسلام حين ينتظمون جميعًا في سلك عبادة شريفة تفرض عليهم أن يجوعوا مع بعضهم ويأكلوا كذلك ويقوموا لربهم في الليل، وفي هذا ما يجعل المجتمع الإسلامي جميلاً وضيئًا تسوده المحبة والوحدة والسعادة والإخاء.

عاشرًا: ومن آداب الصيام أن يقوم الصائم في ليله ببعض الصلوات، فيصلي التراويح حيث يستمع من إمامه إلى القرآن مرتلاً يشنف الآذان والقلوب، ويجتمع بإخوانه المصلين الصائمين في رحاب بيت الله.

هذا، والويل كل الويل لمن يعصي الله في موسم الطاعة، فإن مثل هذا قد استحق أن يدعو عليه رسول الله ﷺ وهو يرقي المنبر؛ لأنه ضيَّع فرصة المغفرة، فأدرك رمضان ولم يؤد واجبه، ففاتته بذلك مغفرة الله.

من فضائل الصيام

إذا كان ربنا ﷻ قد فرض الزكاة طُهرة للمال ونموًا له، فقد فرض الصوم طُهرة للجسد وتكريمًا له، إذا ماج السعي بالغفلات طهرته الصدقة، وإذا اضطرب الجسم بالشهوات جمله الصيام، وإذا كانت الزكاة تعلم الأخلاق والمروءات؛ فإن الصوم يعلم العبد تقوى الله وخشيته في السر والعلن، يقول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٣].

لقد لاحظ المفسرون أن الله -جلَّ وعلا- ذكر الصوم في أربع آيات كريمات من سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ... الآية**﴾ [البقرة: ١٣٨] إلى أن ختم الآية الرابعة بقوله -تعالى: ﴿**تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٧]، لكن الله ﷻ ذكر قبل الآية الرابعة آية تبدو وكأنها ليست في موضوع الصوم، وإنما هي تتعلق بقبول الدعاء ألا وهي قوله -جلَّ شأنه: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ**

عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

والحق أن هذه الآية الكريمة ليست خارجة عن موضوع الصيام لكنها إشارة إلى أن الصائم المحتسب المخلص يستجيب الله دعاءه حين يرى صدق الإخلاص في هذه العبادة الجليلة حين يرى عبده وقد تألقت شفافيته بالصيام والقيام وصرف في طاعة الله وعبادته أوقات الشهوة والشراب والطعام وسما عن تراب الأرض إلى حيث مدارج الملائكة الكرام، هنالك يصبح الصائم قريبًا من نفحات ربه الملك القدوس السلام، وهي منزلة الحب الإلهي التي ذكر الله فيها عبده المحب له، فقال عنه ﷻ: ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعانني لأعينه، ولا غرو فالعبد المخلص المؤمن المحتسب يتحبب إلى ربه بالعبادة المخلصة، فإذا أحبه ربه الرحيم جعله عبدًا ربانيًّا، ينظر بنور الله، ويسمع بسمع الله، ويبطش بقدرة الله، ويمشي بتوجيه الله، فيكون عندئذٍ بإذن الله مقضي الحوائج مستجاب الدعاء مقربًا في أصحاب القربى والكرامة.

وإذن فآية الدعاء المقبول حين وردت ضمن آيات الصيام لم تكن بعيدة عن موضوع الصوم، ولكنه تتويج لآمال الصائمين وبشرى لهم بقبول الدعاء وتحقيق الرجاء ومنازل السعداء ومقامات الأتقياء.

وإذا كان ربنا ﷻ قد فرض علينا أن نجوع بأمره فذلك ليحثنا على إطعام البائس ورحمه الفقير، وما أجمل الجوع حين يذكرنا بالفقراء لنسد جوعاتهم، وقد قيل ليوسف ؈: أتجوع وأنت على خزائن الأرض؟! فقال: «**إني أخاف أن أشبع فأنسى الجائع**».

ألا ما أعظم لطف الله وهو يشبعنا لنحمده ونشكره، وما أعظم حكمته الباهرة حين يجيعنا ليوقظ عقولنا من نومة الشهوات الغافلة ويثير نفوسنا من مراقد أهوائها.

لقد نوَّع لنا ﷻ في مرامي العبادة وأهدافها، ففرض علينا الصيام نؤديه من أبداننا، وفرض علينا الزكاة نؤديها من أموالنا، وفرض الحج جامعًا لنفقة حلال من المال وجهد مبارك من البدن، وهو في كلِّ هذا يربينا على عين الإسلام تربية عالية توصلنا بعون الله إلى

مراتب التقوى التي هي رأس الحكمة.

فلا غرو أن افتتح الله آيات الصيام بثمار التقوى، وختمها كذلك بحكمة التقوى ورأس الحكمة مخافة الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، ثم لما ذكر مسك ختام الصوم قال -جلَّ من قائل: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وكأن الصائم بفضل الله ورحمته له سبح مبارك طول نهاره وطول ليله في أجواء علوية وضاءة طهور، نفحها وشذاها طاعة الله وروحها وريحانها تقوى الله.

ألا ما أعظم فضل الله حين شرفنا بتكاليف العبادة من أموالنا وأبداننا، كلفنا بها وهو عنا وعنها غني حميد، كلفنا بهم وهي والله نعمة في الدنيا والآخرة، ننعم منها في الدنيا بسعادة الطائعين وهناءة السالكين وسكينة المحبين، وننعم منها في الآخرة بثواب الشاكرين وأجر الصابرين ودار المتقين، وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «**قال الله تعالى: يابن آدم ما نصفتني، أتحبب إليك بالنعم، وتتمقت إليَّ بالمعاصي، خيري إليك نازل، وشرك إليَّ صاعد، ولا يزال ملك كريم يأتيني عنك في كلِّ يوم وليلة بعمل قبيح**».

وبعد؛ فإن الصيام عبادة ذات رونق وجمال وذات نظام ووحدة، ففي العالم اليوم ألف مليون من المسلمين، لله ما أجملهم وما أجمل نظامهم وما أقواهم وما أوثق وحدتهم حين ينظمهم في سلك عبادة الله نظام واحد، فيجوعون معًا ويأكلون معًا ويقومون لله بالقرآن، ويحدون مشارق أنوارهم بالآذان، ويكون لهم على الخير إجماع رائع يخيف الأعداء.

إنَّ الخارج على هذا النظام البديع الجليل والمجاهد بالإفطار في ديار الإسلام أقل ما يوصف به ثلاث صفات:

أولها: أنه عديم الرجولة خالٍ من خصائص الرجال الذين لا تلهيهم الدنيا عن ذكر الله وطاعته، فإنَّ الصوم يحتاج من صفات الرجال إلى الصبر والعزيمة وقهر الشيطان، والمفطر المتعمد أعيته طريق الرجولة، فسلك طريق السقوط والسفالة وبلادة الحس.

والصفة الثانية التي ينوء بها المفطر المتعمد: أنه وقح خارج على إجماع الأمة مخرب لنظامهم ومظهر وحدتها، وحين يتجلى ربه عليه ليغفر له ويقبل توبته ويغسل حوبته يجده

طوع يدي الشيطان، وكأنه يقول لربه بلسان حاله: أنت تريد أن تغفر لي وترحمني وتعتقني من النار، وأنا لا أريد عطاءك ولا أقبل حباءك.

أما الصفة الثالثة التي يجاهد بها المفطر التعمد: فهي أنه كافر بالإيمان؛ لأن الصوم ركن من أركان الإسلام وتركه عمدًا كفر، يقول رسول الله ﷺ فيما رواه الشيخان: «**من أفطر يومًا من رمضان من غير رخصة ولا مرض لم يقض عنه صوم الدهر كله وإن صامه**».

إنَّ أي أب أو أم يتغاضى عن الابن في هذا الأمر إنما يدخلان ولدهما النار بتدبير أيديهما، وإن الأم الصالحة لا يمكن أن تمكن ابنها من صنع طعام لنفسه أو لزملائه في نهار رمضان، نعوذ بالله من ضلال السعي وحبوط العمل، ونسأله تعالى صلاح النية.

من آداب الصيام

هذه بعض آداب الصيام، وهي آداب إذا حرص عليها الصائم زكا صومه وضوعف أجره، وكان بمشيئة الله في المقبولين العتقاء والمباركين السعداء، واستحق أن يفاخر الله به ملائكته في السماء.

أولاً: أن يستشعر المسلم قدر رمضان عند الله ومنزلته بين الشهور، وأنه شهر القرآن وشهر الصيام وشهر الرحمة والمغفرة والعتق من النار، ومن ثم يكون استقباله هذا الشهر الكريم مناسبًا لبركته وفضله؛ إذ من العيب أن يلقاك ربنا برحمته وتستقبله أنت بقسوتك، ومن العار أن يمد لك يد التوبة والمغفرة، فتردها بالمعصية والآثام، ينزل ربنا ﷻ في كل ليلة من ليالي رمضان نزولاً يليق بجلاله فينادي: يا عبادي هل مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ فكيف يكون الأمر إذا عرض الله على عبده هذه العروض السخية، فوجد ذلك العبد عاكفًا على المعاصي مستعبدًا للشهوات ممعنًا في الشرور كأنه يقول لربه: أنت تريد أن تغفر لي وترحمني وتعتقني من النار، وأنا لا أريد مغفرة ولا رحمة ولا عتقًا، وحسبي أن أتبع نفسي هواها وشهواتها، وأستهلك كل الطيبات في الحياة الغانية.

ثانيًا: أن يضاعف من كرمه ويضاعف من مكارم أخلاقه، فهذان هما أصدق دليلين على أن الصوم مؤثر ومقبول ومبارك.. إن كرم الصائم هو البرهان على أنه أحس مرارة الجوع

والحرمان، ففتح قلبه ويديه للجائع والمحروم، ولقد كان رسول الله ﷺ أجود الناس في كرمه، وكان أكرم ما يكون في رمضان حين يقرئه جبريل عليه السلام القرآن بأن الصوم درس في الكرم وهو أيضًا درس في المكارم، ولأن القرآن أحسن الحديث يهدي للتي هي أقوم، ويهدي به الله من أتبع رضوانه سبل السلام، ويشفي به صدور المؤمنين من كلِّ هوى قبيح ومن كل شح مطاع، ففي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث ولا يصخب؛ فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني صائمٌ**».

وهذا يعني أن الصوم عبادة وأخلاق، وهو ركن من أركان الإسلام، وهو درس في مكارم الأخلاق، وإذا كان بعض الجهلة يصوم عن الطعام الحلال ويفطر في أثناء ذلك على الكلام الحرام، فذلك هو الذي سفه حكمة الصوم وجهل حقيقة العبادة، ففي الحديث الصحيح: «**مَن لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**».

نعم إنَّ على المؤمن أن يري ربه جل جلاله أثر عبادة الصوم في أخلاقه وبخاصة في جوده على الفقراء والصائمين؛ لأن من فطر صائمًا فله مثل أجره لا ينقص هذا من أجر الصائم شيئًا.

ثالثًا: ومن آداب الصيام تعهد القرآن الكريم بالترتيل والتدبر؛ لأن رمضان شهر القرآن وهو مناسبة مباركة لتلاوته والعيش في ظلاله، فلقد كان من سلفنا الصالح -رضوان الله عليهم- من لا يفتر لسانه في رمضان عن الذكر وتلاوة القرآن، وما أجمل أن يختم الصائم القرآن عشر مرات أو على الأقل ثلاث مرات، والقرآن هو الكتاب الوحيد الذي كلما تكرر يحلو، وما أجمل ذلك الوصف الرفيع الذي وصف به رسول الله ﷺ كتاب الله، فقد روى الترمذي أن الْحَارِثَ رضي الله عنه قَالَ: مَرَرْتُ في الْمَسْجِدِ، فَإِذَا النَّاسُ يَخُوضُونَ فِي الأَحَادِيثِ، فَدَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَلاَ تَرَى أَنَّ النَّاسَ قَدْ خَاضُوا فِي الأَحَادِيثِ؟ قَالَ: وَقَدْ فَعَلُوهَا؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**أَلاَ إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ. فَقُلْتُ: مَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «كِتَابُ الله فِيهِ نَبَأُ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ الله، وَمَنِ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ الله، وَهُوَ حَبْلُ الله الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لاَ تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ، وَلاَ تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ، وَلاَ يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلاَ يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلاَ**

تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الَّذِى لَمْ تَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

ولقد قرأنا عن الإمام الشافعي -رحمه الله- أنه لشدة شغفه بالقرآن كان ربما ختم القرآن في ليلة، وربما أتمه في نهار، وأنه في بعض أشهر رمضان كان يقرأ القرآن ستين مرة، مرة في الليل ومرة في النهار.

ومن المجرَّب أن حملة القرآن من أهل الصلاح يرعاهم الله، فلا يكشف لهم سترًا ولا يحوجهم إلى غير وجهه الكريم، وتراه يفرج عنهم كل كرب، وينجيهم من كل مصيبة.

رابعًا: ومن آداب الصيام تعجيل الفطر وتأخير السحور، وفي هذين الأمرين حكمة بالغة؛ لأن تعجيل الفطر معناه أن تجلس على مائدة إفطارك قبل الغروب، وتنظر إلى الطعام الذي تشتهيه، ولكنك لا تقربه امتثالاً لأمر الله، ثم إنك تستغفر أثناء ذلك وتحمد الله على ما رزقك.. في كل هذا دليل على اهتمامك بالصوم وفرحتك بنعمة الإفطار، أما من يقول لزملائه قبيل الغروب: هيا نسلي الصوم بالخروج من البيت وركوب السيارة، فلن يتمكن من تعجيل الإفطار، وقد لا ينال أجر الاستغفار، وقد تفوته جماعة المغرب.

وأما تأخير السحور؛ فحكمته أجل وذلك لأن الصائم يأكل ويشرب، وهو قريب من الفجر، فيقوم في يوم صومه على العبادة، ثم إن الصائم يكسب صلاة الفجر إذا أخر السحور، أما أولئك الذين يسهرون طوال الليل حتى إذا لم يبق بينهم وبين الفجر إلا وقت قليل غلبهم النوم فناموا، فأولئك تخبث في النهار بطونهم ونفوسهم وتضيع عليهم صلاة الفجر، وقد مرد بعض الناس أن يسهروا في رمضان طول الليل على اللهو والسمر ولعب الورق حتى إذا أقبل عليهم النهار أصبحوا كسالى في وظائفهم عصبيين على مراجعيهم، وقد علمت أن بعض الشباب اللاهي يسهرون الليل في رمضان، وينامون معظم النهار، وهذا سلوك لا يحقق حكمة الصوم؛ لأن الليل كله يكون عندهم أكلاً وشربًا، ولأن النهار كله يكون عندهم نومًا وغفلة، فأي صوم هذا؟!

خامسًا: ومن آداب الصوم أن يقترن بصلاة القيام أو التراويح، والتراويح صلاة جميلة يجتمع فيها المسلمون والمسلمات في مساجد الله، فيقومون لرب العالمين ويمتعون أسماعهم بتلاوة الذكر الحكيم، ويلتقون في بيوت الله على محبة الله، وحسبك بهذا عظيم أجر وراحة نفس وتواصل قلوب.

والتراويح تتراوح ما بين أربع تسليمات (أي: ثماني ركعات)، وقد أوصلها عمر ﵁ إلى عشر تسليمات (أي: عشرين ركعة)، وهي فرصة جميلة لاستعادة القرآن والاستمتاع بتلاوة الإمام، وسمِّيت التراويح؛ لأن المصلين يصلون جزء منها، ثم يرتاحون وهكذا.

هذا، ورمضان فرصة ذهبية لأن ينال الصائم عتق رقبته من النار؛ لأنه يضاعف من بر والديه وصلة رحمه وإكرام ضيفه وإخوانه.

نسأل الله أن يجعل رمضان دائمًا فرصة لعتق رقابنا ورقاب والدينا من النار.

من أحكام الصوم وفضائله

(١)

هذه بعض دروس وأحكام تتعلق بالصوم وشهر الصوم أسوقها إلى الإخوة الصائمين لعلهم إذا أخذوا بها أن يحظوا بتمام الوصول وكمال القبول إنْ شاء الله.

أولاً: شهر رمضان هو أعظم شهور المسلمين وأجلها قدرًا عند الله؛ لأن ليلة واحدة من لياليه خير عند الله من بضع وثمانين سنة، وهي ليلة القدر؛ حيث بات الناس في إحدى لياليه يغطون في عمايات الشرك وضلالات الأصنام وسواد الثارات وجحيم الغارات حتى إذا أصبحوا في ذلك الصباح المبارك إذا صبح جديد وخير عتيد ونبي عظيم وقرآن كريم وتاريخ مشرف يفتح بين يدي حياة المؤمنين صفحة مشرقة من العدل والرحمة والإحسان وكل الكمال الإنساني فينقلهم من حياة على حافة الهاوية إلى حياة فردوسية خالدة باقية، من حياة تخلو من كل ذكر وسؤدد إلى حياة من الشرف المخلد، من حياة يسودها القتل والظلم إلى حياة رفرفت على الدنيا برايات الرحمة والمحبة والإخاء.

وما دام هذا قدر رمضان؛ فما أجدرنا أن نحتفي به فنصومه مخلصين محتسبين ونقومه على

قدم الخضوع خاشعين ونفرح بمقدمه فرحة الآملين المستبشرين.

ثانيًا: الصوم قهر للشيطان؛ لأن أعظم أسلحة الشيطان هي شهوات البطن والنفس، وفي تربة الشهوات تزدهر دِمَنُ الشيطان، ولكن حين يأتي الصوم بتهذيب النفوس وتنقية القلوب تبور عندئذ سوق الشيطان وتتحطم غراس شره حين تقحل أرضه، وتنحاز كل القلوب إلى الصالحات، ولهذا كان رمضان موسم بركة غامرة، تنهل في أوائله سحائب الرحمة، وتهب في أواسطه نفحات المغفرة، وتتلاحق في أواخره مكارم الله بعتق الرقاب وفتح الأبواب ومكافئات الأحيان.

ومن هنا كان الصالحون من سلفنا -رضوان الله عليهم- يحبون رمضان ويشتاقون إليه ويستقبلونه بما يليق به من إنابة إلى الله وإقلاع عن معاصيه وتلاوة لقرآنه، حتى لقد قرأنا أن بعض الأمة من سلفنا كان ربما قرأ القرآن في رمضان ستين مرة، يقرأه مرة بالنهار ومرة بالليل، فتظل حياته عطرة وضيئة بنور الإيمان وعبير القرآن.

ثالثًا: هذا ومن سنن الصوم التي تجمله وتجمل به الصحة السحور المتأخر والفطور المعجَّل؛ ففي الحديث الصحيح: «**لا تزال أمتي بخير ما عَجَّلوا الفطر**».

إنَّ تعجيل الفطر دليل على اهتمام الصائم بصومه وجلوسه عند الطعام قبيل الغروب يتأمله، ويحمد ربه على أن رزقه إياه من غير حول للعبد ولا قوة، وبهذا تكبر نعم الله في عين عبده، ثم إن نظرة إلى الطعام وهو يشتهيه ولا يمد يده إليه هو تعظيم لأمر الله، ووقوف عند شرعه، والتزام دقيق بأمره ونهيه.

أما السحور؛ ففيه بركة كبيرة وخصوصًا إذا جاء متأخرًا ليس بينه وبين صلاة الفجر إلا وقت قليل؛ لأنه عندئذٍ يكون عونًا على صلاة الفجر وصيام النهار في نشاط وصحة وقدرة على قراءة القرآن وعبادة الرحمن.

أما ما شاع في هذه الأيام من سهر ولهو ولعب وورق حتى إذا لم يبق للفجر إلا وقت قليل ملئوا البطون، واستلقوا على الأرض كالأخشاب الملقاة، فتلك عادات تقر لها عين الشيطان ويغضب منها الرحمن، بل هي ضياع الصلوات واتباع الشهوات.

رابعًا: ومن كمال الصوم مضاعفة الجود في رمضان، فقد كان عليه الصلاة والسلام أسبق من الريح في جوده في شهر رمضان، وذلك كأثر للقرآن في قلبه حين كان جبريل عليه السلام يقرئه القرآن، فيتحول في جوه كالريح المرسلة بالبشرى بأمر الله.

إنَّ فعل المعروف في رمضان والإكثار من الصدقة اقتداءً برسول ﷺ.. كلُّ هذه من أسباب الرضا والقبول ومن أسباب نجاح المقاصد وتحقيق منافع الصوم العظيمة، وما أجمل أن يعتكف الصائم في ليالي رمضان، فيلجأ إلى خلوة يأتنس فيها بصلاته وقراءة قرآنه وعبادته لربه عبادة مخلصة من أهواء النفس ونزوات الرأس لتكون العبادة بين العبد وربه.

خامسًا: وللصوم ثلاث مراتب: أولها أن يمسك الصائم عن الطعام والشراب والشهوة، وثانيها أن يكف بصره عن كل نظرة محرمة، ولسانه عن كل كلمة نابية، ويده عن أن تمتد إلى حرام، ورجله أن تسير إلى معصية، وسمعه أن يستمع إلى زور أو فساد أو نميمة، وجوارحه أن تقارف أي أثم من الآثام.

أما المرتبة العليا من مراتب الصوم؛ فهي التي يتحلى بها كبار الأبرار وصفوة الأخيار، وهي صوم القلب عن كل همَّة دنيئة ومقصد وضيع وفكر ساقط يبعد المؤمن عن طموحات السالكين، واستسلام النفس إلى الله بالكلية بحيث تنصرف عما سواه ولا ترجو إلا إياه.

والمؤمن يحرص على ساحة صومه أن تستبيحها وسوسة الشيطان، ويصون حماها عن كل بهتان؛ ففي الحديث الشريف الذي رواه البخاري -رحمه الله- يقول النبي ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**».

سادسًا: ومما يرضي الله من الصائم أن يفطر عنده الصائمون؛ ففي سنن ابن ماجه والترمذي يقول رسول الله ﷺ: «**إنَّ الصائم تصلي عليه الملائكة إذا أكل عنده حتى يفرغوا**»، وروى أصحاب السُّنن أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن فطَّر صائمًا كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيءٌ**».

سابعًا: هذا ولا يهجمن الصائم على طعام الإفطار كأنه الجمل الجائع، ولا يعمد إلى الأطعمة الثقيلة يحشو بها بطنه حالما يحين الإفطار، فقد كان رسول الله ﷺ وصحبه الكرام

يفطرون على ما تيسر من تمرة أو شربة ماء، فيحمدون الله على أن ابتلت عروقهم وذهب ظمأهم، حتى إذا انتهوا من صلاة المغرب ارتاحت معداتهم فأكلوا ما قسم الله لهم.

من أحكام الصوم وفضائله

(٢)

كان السلف الصالح -رضوان الله عليهم- يصومون رمضان لا يتخلف منهم إلا ذو عذر واضح كمريض أو مسافر، قال الحافظ الذهبي -رحمه الله: كانوا يرون أن من ترك صوم رمضان دونما عذر، فهو شر من الزاني ومدمن الخمر، بل لقد كانوا يشكون في إسلامه ويظنون به الزندقة والانحلال، روى أصحاب السُّنن أن رسول الله ﷺ قال: «**من أفطر يومًا من رمضان من غير رخصة رخَّصها الله له لم يقض عنه صيام الدهر كله**».

والحقُّ أن أي شاب أو كهل يفطر عامدًا دون عذر شرعي هو كافر خارج عن إجماع الصالحين وسلوك المتقين، وأقل ما يوصف به المفطر المتعمد أنه وقح صفيق لا يحترم أوامر الله ولا يحترم الأمة المؤمنة وإجماعها، ثم إنه بعد ذلك جبان ضعيف تنقصه الشجاعة وتعوزه السيطرة على النفس والشهوة.

وهذه بعض أحكام تتعلق بالصوم:

أولاً: ربما تختلف المطالع في أنحاء الوطن الإسلامي، وقد كان السَّلف يصومون كلٌّ على رؤيته ومطلعه، لما جاء في صحيح مسلم أن أحد الصحابة واسمه «كريب» قال: قدمت من الشام واستهل عليَّ هلال رمضان وأنا بالشام، فرأيت الهلال ليلة الجمعة، ثم قدمت المدينة في آخر الشهر، فسألني ابن عباس -رضي الله عنهما- فقال: متى رأيتم الهلال؟ فقلت: رأيناه ليلة الجمعة، فقال: أنت رأيته؟ فقلت: نعم، ورآه الناس وصاموا وصام معاوية، فقال: لكنا رأيناه ليلة السبت، فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه، فقلت: ألا تكفيني برؤية معاوية وصيامه؟ فقال: لا، هكذا أمر رسول الله ﷺ.

ثانيًا: للصوم ركنان: النية وتكون في ليالي رمضان، ولا يشترط فيها التلفظ باللسان؛ لأن موضع النية القلب. أما الركن الثاني فهو الإمساك عن جميع المفطرات من الفجر إلى

غروب الشمس، قال الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ومن أمسك بخيطين أحدهما أبيض والآخر أسود، وظل يأكل ويشرب حتى أدرك لونيهما فهو مخطئ، وإنما المقصود بالخيط الأبيض بياض النهار والخيط الأسود بقايا سواد الليل. ففي الحديث المتفق عليه أن عدي بن حاتم رضي الله عنه عمد إلى عقالين أحدهما أسود والآخر أبيض ووضعهما تحت وسادته وجعل ينظر في الليل إلى كل منهما، فلا يتبين له شيء، فلما ذكر ذلك لرسول الله ﷺ قال له: «**إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار**».

ثالثًا: الذين يرخص لهم في الفطر ثلاثة أنواع: نوع تجب عليه الفدية فقط، ونوع يجب عليه القضاء فقط، ونوع يجب عليه القضاء والفدية، فالذين يجب عليهم الفدية هم الذين يطيقونه أي يتحملونه في مشقة شديدة كالشيخ الكبير والمريض الذي لا يرجى برؤه، فمثل هذين قد لا يحصل له وقت ملائم للقضاء، ولهذا يطعمان عن كل يوم مسكينًا.

وقد سألني صياد سمك بأنه يلقى في عمله صعوبة شديدة، ولا يستطيع ترك السعي في رمضان؛ لأن الصيد مصدر رزقه الوحيد، ومثل هذا والله أعلم يفطر، ويحاول القضاء كلما سنحت له الفرصة؛ فإن لم تسنح أطعم عن كل يوم مسكينًا، ومثله الذين يقضون نهارهم في قطع الحجارة أو أعمال البناء الشاقة في الحر، فهؤلاء يدخلون في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]، على أن ينتهزوا كما أسلفت أي فرصة فراغ تسنح لهم فيقضوا.

والحبلى والمرضع اللتان تقضيان الحياة بين الحمل والرضاعة ولا يصير لديهما وقت للقضاء قد يدخلان في هذا لما رواه الإمام مالك -رحمه الله- أن ابن عمر -رضي الله عنهما- سئل عن المرأة الحامل إذا خافت على ولدها، فقال: تفطر وتطعم عن كل يوم مسكينًا، وما روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه كان يقول لأم ولد له حبلى: أنت بمنزلة الذين لا يطيقونه، فعليك الفداء.

أما الحامل والمرضع اللتان تجدان وقتًا للقضاء في فترات؛ فعليهما القضاء إذا خافتا على نفسيهما؛ لأنهما عندئذٍ بمثابة المريض، وعليهما القضاء والكفارة إذا خافتا على ولديهما.

وأما المريض الذي يرجى شفاؤه والمسافر؛ فعليهما قضاء عدة أيام أخر.

وقد اختلف الأشياخ في أمر المسافر: هل من الأفضل أن يصوم أو يأخذ بالرخصة، ولعل أوسط رأي هو ما ذهب إليه أبو حنيفة والشافعي ومالك بأن الصيام أفضل لمن قوي عليه، وأن الفطر أفضل لمن لم يقو عليه، فالمسافر مثلاً بالطائرة لمدة ساعة أو ساعتين، والمسافر في سيارة مكيفة وقتًا غير طويل يجوز لهما أن يفطرا متمتعين بالرخصة التي هي من مظاهر رحمة الله، ولكن ما دام أن القضاء واجب عليهما، فلعلهما أن يصوما مع الناس أفضل لأن ذلك أهون من أن يقضيا وحدهما عندما يكون معظم الناس مفطرين، وإذا كان المؤمنون في جهاد أو مقبلين على معركة، فالفطر أفضل ليتقووا به على قتال عدوهم.

رابعًا: القطرة والكحل والحقنة والمضمضة في غير مبالغة والاستنشاق والسواك طوال يوم الصوم.. كلُّ هذه لا تفطر إنْ شاء الله، ومثل ذلك القُبلة لمن قدر على ضبط نفسه والحجامة وشم الروائح الطيبة والبخور المتصاعد ولو دخل الفم والأنف؛ لأن تلك الأمور مما يشيع بين الناس، ولو كانت تفطِّر لوجب على رسول الله ﷺ أن يبيِّن حكمها.

يضاف إلى ذلك ما أفتى به أهل العلم حديثًا وهو أن بخاخ الربو لا يفطر إنْ شاء الله إذا اضطر إليه المريض.

خامسًا: من احتلم نهار رمضان وهو صائم، فلا شيء عليه؛ لأن النائم مرفوع عنه القلم، أما الذي يجامع متعمدًا، فعليه كفارة مغلظة، وهي على الترتيب عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكينًا، ففي الحديث المتفق عليه أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: هلكت يا رسول الله!! قال: «**وما أهلكك؟**» قال: وقعت على امرأتي في رمضان، فقال عليه الصلاة والسلام: «**هل تجد ما تعتق رقبة؟**» قال: لا. قال: «**فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟**» قال: لا. قال: «**فهل تجد ما تطعم ستين مسكينًا؟**» قال: لا، ثم جلس، فأتى النبي ﷺ بعرق فيه تمر (والعرق مكيال يسع حوالي ثلاثين كيلو جرامًا)، فقال ﷺ للرجل: «**تصدق بهذا**». قال: فهل على أفقر منا، فما بين لابتيها أهل بيت أحوج إليه منا؟! فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، وقال: «**اذهب فأطعمه أهلك**».

يا لسماحة الإسلام، كيف تدرج في اليسر حتى استفاد المذنب أخيرًا من ذنبه، وذلك لأنه

ذنب ليس فيه ظلم للناس!!

سادسًا: لا ينقض الصيام إلا الأكل والشرب والقيء المتعمد والجماع والحيض والنفاس والاستمناء المتعمد، أما من أكل أو شرب ناسيًا فذلك رزق قد ساقه الله إليه.

من أحكام الصوم وفضائله

(٣)

من فضائل الصوم العظمى أن ربنا ﷻ أضافه إلى نفسه، وأسند مثوبته إلى جوده وكرمه، فقال الله ﷿ فيما يرويه عنه نبيه في الحديث القدسي: «**كلُّ عمل ابن آدم له إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي**»، ومعنى هذا الحديث أن ثواب الصوم لا يقدره الملكان الكريمان اللذان يكتبان الأعمال، وإنما يُترك ثواب الصوم لله ﷻ أكرم الأكرمين.

وإنما جعل الله ثواب الصائم من يده الكريمة؛ لأن الصيام بين العبد وربه، والصائم قد يخلو في بيته وقتًا طويلاً وفي إمكانه عندئذٍ أن يأكل ويشرب ويحقق شهوته لكنه لا يفعل ذلك حتى في أخص خلواته؛ لأنه يعلم أنه إذا غاب العباد فالله ﷻ حاضر، وإذا غفل الخلائق فالله شاهد ناظر إليه، وأنه أقرب إلى العبد من حبل الوريد، ومن ثم لا تخفى عليه خافية ولا تعزبُ عن علمه غائبة، والثواب تعذب حين يكون من يد الله الفياضة السخاء لا تقاس إليه تقديرات الملائكة، ومن المعلوم أن قيمة المثوبة ومقدار الجزاء يتوقفان على خلوص العبادة من كل شائبة شرك، فكلما عظم إخلاص العبادة لوجه الله الكريم عظم ثوابها حتى يكون بغير حساب، وهذا ما يحدث بخصوص الصبر والصوم والصدقة الخفية، يقول الله تعالى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [الزمر: ١٠]، وبعد هذه الآية الكريمة المبشرة يذكر ربنا ﷻ إخلاص العبادة لله ليتحقق ذلك الثواب العظيم، فيقول مخاطبًا نبيه ﷺ: ﴿**قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ**﴾ [الزمر: ١١]، إلى أن يقول جلَّ من قائل: ﴿**قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ۞ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ**﴾ [الزمر: ١٤، ١٥].

ومن أجل هذا الإخلاص في عبادة الصوم استحق الصائم أن يباهي الله به ملائكته؛ لأنه

ترك الطعام والشراب والشهوة احتسابًا لوجه ربه الكريم وإخلاصًا وخوفًا من مقامه العظيم، وفي الحديث الشريف ما يفيد أن الله ﷻ يباهي ملائكته بعبده الصائم، فيقول للملائكة: «**انظروا عبدي، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي**».

أما الإشارة إلى خلوف فم الصائم وأنه أطيب عند الله من ريح المسك، فتلك إشارة إلى أن الصائم حبيب الله، كل شيء منه جميل وطيب، حتى ولو كنت رائحة أنفاسه المتغيرة من قلة الطعام، فالعبرة عند الله ﷻ بحقائق النفوس لا بمظاهر الأجسام.

وإن فم الصائم الذي يقضي نهاره في الصيام المحتسب وتلاوة القرآن أجمل ألف مرة من ألف فم مضمخ بالعطر، إذا كانت تلك الأفواه مدنسة لفاحش القول وفساد الغيبة وضرر النميمة وساقط اللغو.

ومن الطبيعي أن يكرم الله الصائم؛ لأن الصائم كرم نفسه حين طرد الشيطان من حياته وأقفل في وجهه أبواب قلبه، ولا غرو؛ فمداخله إلى القلوب إنما هي من أبواب الشهوات، والصائم حين يعتزل شهواته يترك الشيطان خاسئًا ذليلاً مسلوب الحول والقوة، نعم إن الشيطان يتحسر في شهر رمضان حين يرى الصوم وقد حطم الشهوات على صخرة الصبر، وهذا ما عناه الحديث الشريف الذي رواه الشيخان أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين**».

وفي الحديث الذي رواه النسائي -رحمه الله- أن رسول الله ﷺ قال: «**أتاكم شهر رمضان شهر مبارك، فرض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين**».

ولأن موسم الصوم عاطر الأجواء وضيء الشذا والأنداء، فإن الله ﷻ يرضى فيه عن المؤمنين الصائمين بما يزينهم من الصوم والدعاء والقيام والاعتكاف، فيشملهم بنفحاته المعطاء، ويتجلى عليهم بتجليات الرضا، فيتقبل دعوات الصائمين حين تصعد من أفواههم الطاهرة كأنها أنفاس مجامر النَّد الخالص؛ ففي الحديث الذي رواه أحمد والترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «**ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا**

فَوْقَ الْغَمَامِ، وَتُفَتَّحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ ﷻ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ».

وفي عبير هذه التجليات ترى سوق العفو والرحمة والمغفرة قد راجت حين ينزل ربنا ﷻ كل ليلة من ليالي رمضان، فينادي عباده الصائمين إلى جمال رحابه وواسع أبوابه؛ حيث الرحمة والمغفرة والعتق من النار، فقد جاء أنه في ليالي رمضان ينادي منادٍ من السماء كل ليلة: «**يا باغي الخير يمم وأبشر، ويا باغي الشر أقصر وأبصر، هل مستغفر يغفر له؟ هل تائب يتوب الله عليه؟ هل من داعٍ يستجاب له؟ هل من سائل يعطى سُؤله، ولله كل ليلة عند كل فطر عتقاء من النار**».

وبعد؛ فإن رمضان يظلنا هذا العام ونحن أحوج ما نكون إلى نصر الله وفرجه القريب؛ إذ دهمنا ظلام الضياع وعاثت في أقداسنا غوادر الذئاب وتلاحقت علينا بذنوبنا النوائب وتداعت علينا الأمم، كما تتداعى الأكلة على قصعتها، وتجبر من حولنا أعداء الله ورسوله، فما أحوجنا أن نتوجه إلى الله في أيامه المباركات، ونتعرض إلى نفحاته الكريمات، فنضاعف من طاعاتنا ونقلع عن سيئاتنا وخطايانا لكي يرنا الله في تجلياته ونحن على خير حال.

إنَّ معصية الله -تعالى- في شهر رمضان تحمل مع الإثم وقاحة شيطانية؛ إذ كيف يمد الله يده إلى العباد يناشدهم التوبة ويعدهم واسع المغفرة، فيجدهم على حال سيئة من ترك العبادات واتباع الشهوات.

أخي المسلم!! إياك أن يدعوك الله إلى رحاب مغفرته، فيلقاك عاكفًا على معصيته، فكلنا فقير إلى رحمته، فهو الولي الحميد ذو العرش المجيد الفعال لما يريد.

اللهم اجعلنا وآباءنا وجميع المسلمين من عتقائك وأصفيائك والفائزين بقبولك ورضوانك.

❊ ❊ ❊

العشر الأواخر من رمضان وفضلها

يضاعف السعداء من عبادتهم في العشر الأواخر من رمضان، فيطلبون القيام ويتعهدون القرآن، ويرون الله في شهر القرآن من أنفسهم مناظر جميلة مباركة من حسن التوجه إليه، وجميل التوكل عليه منتهزين البقية الباقية من أيام رمضان المباركات ليملئوا صحائفهم بالباقات الصالحات، ويستحقوا بذلك أن يكونوا من عتقاء الله في هذا الشهر المبارك الكريم.

وهذه بعض أمور يكون فيها مجال للتساؤل في العشر الأواخر من رمضان:

أولاً: حين يشعر التاجر بقرب انتهاء الموسم تجده يتحين فرص المكاسب؛ لأن الفرصة إذا ضاعت لا تعود أبدًا، ولهذا يحيي الناس ليالي رمضان، ويلتمسون فيها ليله القدر التي أنزل فيها القرآن، ففي الحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ كان إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر، وكان عليه الصلاة والسلام يعتكف في العشر الأواخر من رمضان ليتفرغ لعبادة الله بعيدًا عن مشاغل الحياة.

ثانيًا: ليلة القدر إنما سمِّيت بهذا الاسم لعظمة قدرها عند الله، وقد تركها رسول الله ﷺ دون تحديد صارم لها؛ لأنه لو فعل ذلك لاكتفى الناس بإحياء ليلة واحدة، لكنه كان يتحرها في الوتر من العشر الأواخر من رمضان؛ ليكسب الناس أكبر قدر من العبادة والقيام.

وإنما كان لهذه الليلة كرامتها؛ لأن الله شرَّفها بنزول القرآن الكريم فيها، وحسبك بهذا الشرف العظيم لتلك الليلة العظيمة سنا وسناءً، وببركة القرآن الكريم يغفر الله فيها الذنوب، يقول رسول الله ﷺ: «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**».

وهي أسمى من أن يطلب العبد فيها ذهبًا وفضةً وأعراضًا دنيوية زائلة، وإنما على من يدركها أن يدعو فيها بجوامع الدعاء وأسماه وأشرفه، ففي الحديث الذي رواه الترمذي أن عائشة -رضي الله عنها- قالت: يا رسول الله، أرأيت إن علمت أي ليلةٍ ليلة القدر؟ ما أقول فيها؟ فقال: «**قُولِي اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**».

ما أجمل أن تدعو الله أن يجعلك من أهل القرآن الذين يتلونه ويعملون به وتنشرح

صدورهم به وتزداد قلوبهم إيمانًا بآياته وتنير به بصائرهم وأبصارهم وقبورهم وأعمالهم.

ثالثًا: تعوَّد الناس أن يخرجوا زكاة أموالهم في العشر الأواخر من رمضان، كما تعوَّدوا أن يخرجوا زكاة الفطر قبل صلاة العيد بيوم أو يومين، وزكاة المال وزكاة الفطر مصرفهما واحد، وهذا يعني أن مستحق زكاة الفطر هو نفسه مستحق زكاة المال.

هذا، ولا يجوز للمستغني عن الزكاة والصدقة أن يمد يده إليها، فالزكاة لا تجوز على مستغنٍ عنها ولا على القوي المكتسب، وعلى أمثال هذين أن يتركوها للفقراء والمساكين والغارمين والمجاهدين.

هذا، ولن تجد ذا كرامة يقبل الزكاة؛ لأنها أوساخ الناس، ومن يستغن يغنه الله، ومن يستعفف يعفه الله، أما الذي يرخص ماء وجهه في الدنيا؛ فإن الله يحرمه ماء وجهه ونضرة وجهه في الآخرة، وإلى هذا أشار رسول الله ﷺ؛ إذ يقول: «**لا تزال المسألة بالرجل حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحم**»، يعني أن وجهه يتحول إلى جمجمة ناشفة لكثرة ما باع من ماء وجهه وأرخص من حر كرامته، وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**إن المسألة لا تصلح إلا لذي فقر مدقع أو لذي غرم مفظع أو لذي دم موجع**».

رابعًا: هذا وقد يكون لبعض الأغنياء عددًا ممن يلازمونهم ويقومون لهم ببعض أعمال من حراسة أو مراسلة أو خدمات لعائلاتهم أو مرافقتهم في صيدهم أو غير ذلك، وأقول: إن هؤلاء ليسوا من مصارف الزكاة؛ لأنهم يكونون في الغالب أقوياء مكتسبين ذوي بيع وشراء وعمائر وبيوت، وما يجوز لسيدهم الذي يرافقونه أن يعطيهم من الزكاة، بل هو يكرمهم من ماله بما عوَّدهم عليه من عادات إلا إذا وقع أحدهم في غرم أو جريرة، فعندئذٍ يدخل في الغارمين، ويجوز أن يعطى من الزكاة.

الزكاة تصرف لمصارفها وتعطى للذين ذكرهم الله في محكم آياته، أما حين يوزِّع الغني المال على من يمدحونه بالشِّعر، ويتملقونه بلغو الحديث، ويسهرونه في الليالي، ويقومون بالدعاية لعطائه ومعروفه؛ فهذا يعد في باب الكرم والشهامة والضيافة والمروءة ينفقه الغني من جيبه، ولا يجوز اعتباره من الزكاة.

كما أن ذبائح الضيوف وكثيرًا من أبواب المعروف هي فضائل يحب الله أهلها ولا

يضيمهم، لكنها لا تدخل في ركن الإسلام المتعلق بزكاة المال.

وهنالك ملاحظة حول فئة من الناس ممن يقتنون ثيابًا وسخة يلبسونها في رمضان يجلسون بها على قوارع الطرق وأبواب المساجد يستجدون رغم غناهم، فيشوهون وجه المجتمع، ويضيعون الفرصة على الفقير الحقيقي باحترافهم الذلة والصغار المهين، فالغني غني النفس والقلب، وليس غني الشاه والبعير والدينار والدرهم، وفي الحديث الشريف: «**الطمع يذهب الحكمة من قلوب العلماء**»، وقال رسول الله ﷺ: «**إياكم والطمع؛ فإنه هو الفقر الحاضر**»، والدنيا كما هو معروف لا تشبع، فقد جاء في صحيح البخاري: «**لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ، وَلَنْ يَمْلأَ فَاهُ إِلاَّ التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ**».

خامسًا: أخي الصائم ما دمت تودِّع شهر البركات، فاربأ بنفسك أن تقف على غير باب الله، اجعل توجهك إليه، واجعل توكلك عليه، ولا تشرئب بعنقك إلى عطايا العبد، بل استغن بفضل الله عمن سواه، وما دام رمضان قد آذن بانتهاء، فاكسب أوقاته الغالية، واستمتع بسويعاته الثمينة، وأحيي بطاعة الله لياليه، فالعبرة بالخواتيم.

نسأل الله أن يجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أعمارنا آخرها، وخير أيامنا يوم نلقاه.

لقد كان السلف الصالح -رضوان الله عليهم- يبكون رمضان حين يؤذن بانتهاء، ويسألون الله أن يشهدهم إياه ليعوضوا ما حصل من تقصير إزاءه.

وهنا لا بدَّ أن نذكر أن رمضان لم يكن عند أصحاب رسول الله ﷺ شهر استلقاء واسترخاء ونوم طويل، بل لقد كان عبر تاريخنا شهر جهاد وانتصار وتضحيات، وحسبنا أن غزوة بدر كانت في رمضان، وهي التي سمَّاها الله ﷻ يوم الفرقان، وكذلك كانت غزوة فتح مكة في رمضان، وكأن الله ﷻ أراد بحكمته البالغة أن يبدأ النصر ويختتمه في رمضان؛ ليعلم المؤمنين أن النصر لا يكون بالبطون المليئة بأصناف الطعام، ولكن بالقلوب العامرة بصدق الإيمان، وقد كان صلاح الدين -رحمه الله- كثيرًا ما يتحرى أن يبدأ القتال في رمضان راجيًا من الله أن تصيبه دعوات الصائمين، ودعوة الصائم بإذن الله مستجابة.

* * *